بانوراما انتخابية

حين اندحر الموت امام ارادة الحياة العراقية

رأي: (اشعر بسعادة غامرة، لم اشعر بها في يوم زواجي)، هكذا ابتدرنا احد المواطنين في مركز الاقتراع ٦٧، ونحن نسأله عن شعوره وهو يقترع للمرة الاولى في حياته بحرية كاملة، فيما استقبلتنا الزغاريد مع مجموعة من الناخبين و دخلت معنا في الوقت نفسه امرأتان متشحتان بالسواد، اطلقتا الزغاريد، تقدمت منهما وسألت إحداهما واسمها صبيحة محمد (٢٥عاماً) وموظفة في احدى مؤسسات الدولة عن سبب لبس السواد قالت: والدتنا توفيت قبل شهرين ومن تقاليدنا عدم اقامة الافراح او المشاركة فيها الا بعد انتهاء فترة الحداد، ونحن نعتبر منذ هذا اليوم ان فترة الحداد قد انتهت، لقد زغردنا وها هي (هلهولة) اخرى للشعب وللصحافة الحرة، واضافت اختها اميرة: لقد عوضنا الله عن اعدام اخينا واختفاء ابن عمنا منذ عام ١٩٨١، وحتى اليوم لا نعرف مصيره، مشاركتنا هنا وفاء كبير لحبنا لهما.

اسود وابيض

في هذا المركز (مدرسة الدراري) لاحظنا للاسف الفوضى وعدم التنظيم، ابتداءً من مرحلة التفتيش وحتى خروج الناخب من المركز، مدير المركز لم نجده، طوابير الانتظار غير مرتبة شجار حاد وقوي حدث بين بعض رجال الشرطة في داخل المركز!! ام احمد مع ولدها لم يتمكنا من السفر الى محافظة البصرة، حضرت الى هنا للاقتراع..لا وجود لمن يرشدهما عما يفعلاه، شيماء علاء مع والدتها اضطرتا ان تبيتا في الكرادة بسبب المرض ومسكنهما في الدورة جاءتا للتصويت ايضاً، ولا من معين، ابو علي جاء مع ولده علي، ومركزه الانتخابي في بغداد الجديدة ومسكنه الكرادة، لا يعرف كيف يدلي بصوته. تبنيت موضوعهم بحثت عن مدير المركز ولكن لا احد يعرف اين هو، التقيت شاباً صغيراً يحمل فوق صدره (باج) المفوضية العليا للانتخابات قالوا لي انه المشرف على المركز وسألته حلاً لهؤلاء وغيرهم ربما، اجابني بسرعة ومن دون تركيز، الملحق امتلأ ليذهبوا الى مركز آخر وتركني مسرعاً ولا ادري أي عمل له غير الاشراف على المركز ومساعدة الناخبين على حل اشكالاتهم. ومتابعة تحركاتهم نجح ابو علي في دخول احدى الغرف والاقتراع هناك، فسارعت الى الباقين اشير لهم الى تلك الغرفة ليحلوا مشكلتهم، الطريف في الامر ان الطفل علي وعمره ست سنوات، كان قد لون اصبعه بالحبر الانتخابي وخرج مزهواً، وعندما سألته ماذا فعلت، قال بكل جرأة، لقد انتخبت!

الابيض هو مركز الاقتراع ٦٦ (مدرسة دجلة للبنات) السيد زياد مدير المركز كان مثالاً للحركة الدائبة، فقد كان يستقبل الناخبين بابتسامته العريضة ويساعد المرضى منهم على مواصلة مشوارهم حتى صندوق الاقتراع ولا يسمح لهم بالانتظار واستجاب لطلب بعضهم في استخدام سيارات الشرطة الشجاعة لنقل بعض المرضى غير القادرين على المجيء الى المركز مشياً على الاقدام، سألت احد الناخبين (عامر شوكت) ومن رقم بطاقته عرفت انه من منطقة اخرى، كيف اقترعت هنا وانت من منطقة اخرى؟ اجاب بكل بساطة ،انني التقيت بمدير المركز وكان عندهم ملحق فانتخبت انا وزوجتي والعديد من الناس الذين لم يتمكنوا من الوصول الى مراكزهم الانتخابية لأسباب عديدة.

غيرة ام مريم!

ام مريم امرأة مسيحية جارة لنا، همها الوحيد البيت والاطفال والزوج، لا تعرف بالسياسة قدر معرفتها بما يجري على كوكب المريخ! تخاف من صرير الباب اذا هزته الريح، كنت اناقشها دائماً عن الانتخابات، وكانت جملتها المعهودة (شعلينه عيني، الامريكان راح يرتبون كلشي) وتضيف احياناً (اذا رحت واذا ما رحت، النتيجة نفسها)، زوجها نهض صباح يوم الانتخابات المشرق وذهب ليدلي بصوته في الساعة السابعة والنصف صباحاً، ولم تزل المنطقة هادئة ونائمة لكن كل شيء كان حذراً عندما عاد زوجها نظرت الى سبابته وسألته (يعني انتخبت) وكان الجواب في اصبعه فما كان منها الا ان تتصل بزوجتي وتطلب منها ان تأتي معنا وفي الطريق سالتها وكان زوجها معها ايضاً ، عن سبب تبدل موقفها فقد تركناهم ليلاً وهي مصرة على مفهوم (شعلينه) قالت لي: سوف يفضحني هذا الرجل- واشارت لزوجها-امام الاهل والاقارب والاصدقاء. وحينها سيكون موقفي صعباً ومحرجاً، وعندما اخبرني انه شاهد في الطريق الكثير من النساء في طريقهن للاقتراع احسست، والكلام لها- بأنني غبنت نفسي كثيراً وصراحة، سألت نفسي، هل اللواتي ذهبن وسيذهبن احسن مني؟ فكان جوابي كلا، وهكذا قررت ان (اجازف بحياتي) واذهب معكم ورحت اشرح لها طريقة الانتخاب وماذا ستفعل، بعدها سألتني ، من ستنتخب؟، فقلت لها مازحاً سأنتخب زوجتي، ومن ستنتخبين؟ قلت لها، صمتت وقالت: عندما نصل سالمين سأفكر جيداً، وفي طريق العودة دعتنا للغداء وشرب الشاي، قلت لها: بمناسبة الانتخابات اليس كذلك؟ قالت بكل وضوح كلا، وانما بمناسبة تدخلي في السياسة لأول مرة في حياتي.

شكراً للارهابيين

في حديثي مع المواطن عمر العادلي وهو تاجر مواد غذائية عن الانتخابات ونتائجها واهميتها في تأسيس تقليد جديد في الممارسة السياسية العراقية الجديدة. قال لي: هل استطيع ان احملك امانة؟، قلت بكل سرور، قال: هل تستطيع ان تشكر الارهابيين نيابة عني؟! فاجأني الطلب، وسألته، وكيف لي أن اعرفهم؟، بكل بساطة قال: لا يحتاج الموضوع الى ان تذهب اليهم، اشكرهم من خلال صحيفتكم التي اطالعها باستمرار، وحدثني عن شكره هذا كثيراً لكن جوهره وملخصه هو آلاتي:

المواطن العراقي عمر العادلي، يوجه شكراً خاصاً للإرهابيين القتلة، لانهم ببساطة اعطونا فرصة ان نظهر شجاعتنا ونعرف مقدار قوتنا وارادتنا، ها هو الشعب العراقي يتحدى الموت الذي هددتم به لان الانتخابات لو كانت طبيعية، كما يحصل في بقية انحاء العالم، لما كانت عيون الاصدقاء والاعداء شاخصة الى المشهد العراقي التاريخي يوم ٢٠٠٥/١/٣٠ لقد بينا للعالم اننا لن نهزم، لقد اثلجنا صدور الاصدقاء وزدنا الاعداء هما وكمداً ، وكما قال الشاعر (فإما حياة تسر الصديق واما ممات يغيض العدا)

برغم الضغوط التي لو وجهت الى أي شعب اخر، لما استطاع ان يبقى متماسكاً مثلما يفعل شعبنا الان.

وشكراً ثانياً لهم، لاننا بهذه الواقعة التاريخية قد عرفنا حجمهم وقوتهم وما يستطيعون ان يفعلوا، لقد قلنا سنقيم الانتخابات واقمناها، وقالوا سنفشلها ففشلوا هم بكل خزي، وحتى من كان مخدوعاً بقوتهم وقدرتهم على فعل شيء مؤثر. قد زالت الغشاوة عن عينيه، واكتشف بكل بساطة ان اقصى ما يستطيعون فعله هو قتل الناس الابرياء، والهدف هو القتل والقتل فقط، واضرب لك مثلاً ابني في الصف الاول بكلية الهندسة وكان يدافع عن(مواقفهم) ويعتبرها مقاومة وطنية، وعندما رأى من شباك المنزل تدفق الناس في الشوارع للذهاب الى مراكز الاقتراع نساء ورجالاً وشباباً طلب ان يأتي معي للانتخاب وقال لي: من غير المعقول ان يكون كل هؤلاء البشر على خطأ.

بطولة عراقية خالصة

بثت العراقية خبراً اكده السيد وزير الداخلية وفحواه ان رجل الشرطة عبد الامير كاظم من حماية احد المراكز الانتخابية في بغداد، ساورته الشكوك حول رجل يروم الدخول الى المركز متسللاً وحالما شعر الرجل الغريب بهذه الشكوك حتى حاول الفرار، لكن الشهيد عبد الامير ركض خلفه وابى ان يتركه يهرب مع الموت الذي تزنر به ورمى بجسده فوقه الا ان المجرم كان اسرع في استخدام جهاز التفجير. فتفجرا معاً من دون اصابة أي مواطن او أي من افراد الحماية، لقد افتداهم جميعاً بروحه الطاهرة، أي معادلة هذه بين رجل يأتي ليقتل البشر من دون أي سبب سوى انهم يبحثون عن سبل لحياة جديدة مستقرة ومتوازنة، ورجل آخر يفعل العكس تماماً يضحي بنفسه من اجل ان يمنع هذا القتل المجاني لهؤلاء الناس. القتل ومنع القتل؟!

من اين اتى ذاك الرجل غير العراقي البعيد بكل هذا الشر الذي بداخله؟ ولا نسأل من اين اتى رجل الشرطة العراقي البطل بكل هذه الشجاعة والحب غير المتناهي للناس؟!

امرأة تحتفل لانها تتدخل في السياسة لاول مرة في حياتها واخرى تعتبر يوم الانتخاب نهاية لحدادها

مواطن (يشكر) الارهابيين لانهم كشفوا عن قوة الشعب العراقي

العراقيون قدموا درساً نموذجياً في الجرأة والشجاعة والحزن والزغاريد

بطل من الشرطة العراقية يضحي بحياته وينقذ ارواح العشرات من الناخبين

(صباح الانتخابات) عبارة تداولها الكاظميون عند شروق شمس الاحد ٣٠/ ١/ ٢٠٠٥

مواطنو الكاظمية والدورة نجحوا في الاختبار الديمقراطي وقذائف الإرهاب سقطت في الفارغ

زينب الاسدي - صافي الياسري
تصوير- سمير هادي

مجيداً قام (صباح الانتخابات) هنا ممتزجاً مع تكبيرات عراقي مبتهج أذاعتها مكبرات الصوت الخاصة بمنائر ضريحي الامامين الكاظمين (ع)، وما كان ذلك الا اعلاناً جلياً ان هذا اليوم عيد، تماماً مثل بقية اعيادنا ان لم يكن الاهم والاجمل، كما انه نداء مقدس للتوجه الى صناديق الاقتراع.

ومع تكبيرات العيد النبيلة الروح، القدسية النغمة نبحث من حيث لا ندري اصوات اطلاق نار وسقطت عدة قذائف هاون على اماكن متفرقة غير ذات بال ولم تحدث اضراراً فقد سقطت في الفراغ، ثم همد كل شيء حتى موعد اقفال الصناديق بينما كان المد الانساني يرتفع بتؤدة صوب ساحل مراكز الاقتراع في شارع المحيط الثاني متحدياً غير هياب ولا وجل.

زغاريد

قلت لعائلتي مثلما فعل الكثير من الكاظميين (صباح الانتخابات) وكنت قبل ذلك اقول (صباح الخير) فابتسم الجميع وبرغم ان خشية وقلق خفيفين هوم على سماواتنا عندما سمعنا الانفجارات الا ان دبيب البهجة كان يتسلل الى نبضات قلوبنا وئيداً، يشرق في عيوننا.

وما لبث ان انفجرت ضحكات ونحن نسمع زغاريد النسوة اللواتي ملأن الشارع المحيط، حيث اتخذت المدارس الابتدائية هناك مراكز انتخابية لمحلات مدينة الكاظمية، لم يكن الزحام عاديا فقد اكتظ الشارع بالوافدين وامتدت عدة طوابير طويلة عند كل مركز بين صندوق الاقتراع والشارع، زحف الرجال والنساء والاطفال شيباً وشباناً من يحق لهم التصويت جاءوا ليدلوا بأصواتهم ومن لا يحق لهم جاءوا ليشاركوا الآخرين بهجة المهرجان العراقي الاول مهرجان الانعتاق كما جاء المعاقون والمرضى والعاجزون بعضهم متكئاً على كتف ابنه او ابنته او زوجته او زوجها وآخرون على عكازات او كراسي مدولبة وجاء آخرون عاجزون عن المشي بعربات خشبية يدفعها ذووهم. مشاهد معبرة ومؤثرة ستبقى محفورة في ذاكرة العراقيين امداً طويلاً.

لقد ادرك العراقيون انهم بمشاركتهم هذه انما يستجيبون لشروط تحد احدى نتائجه التي يسعون اليها دفن جثة الدكتاتورية الى الابد وفتح البلد على عالم واعد عراقي هو الحلم الذي راودهم مئات السنين في بناء مدن وقواعد الكرامة والانعتاق وانها الفرصة التاريخية التي يجب الا تضيع.

في المراكز الانتخابية

وندخل المركز الانتخابي رقم ١٢٧٠٠٥/ الكاظمية الذي اتخذ من مدرسة عبد المحسن الكاظمي الابتدائية موقعاً له، وهذا المركز مكون من اربع محطات.

الزخم ما زال على اشده ومدير المركز يؤكد انهم ما كانوا يتوقعون مثل هذا الاقبال، ويؤكد ان انفجارات الصباح لم تؤثر بشيء والوضع الأمني مستتب ١٠٠٪ وقد نجح رجال الشرطة والحرس الوطني في تأمين عموم المدينة وليس مواقع مراكز الانتخابات وحسب، بينما غاب الاميركان عن المشهد، وامسكوا بالمداخل وبعض العقد التي تتيح لهم سرعة الحركة والوصول الى أي مكان يريدون كما سيطرت دوريات الهليوكوبتر على سماء المنطقة موفرة تغطية جوية حازمة، ومراقبة دقيقة. الاقبال النسائي هو الآخر لم يكن متوقعاً بهذه الدرجة، وباندفاع جلب الازواج زوجاتهم والآباء بناتهم والاخوة اخواتهم لينتخبن ويعطين العملية الانتخابية الزخم الكفيل بإنجاحها، كان ثمة تعاضد وحماس منقطع النظير لضمان النجاح لم يتهرب احد ولم يبحث عن غدر كما كانوا يفعلون ايام النظام البائد ولم يأتوا مجبرين خائفين انما جاءوا ليثبتوا للعالم كله وجودهم وارادتهم.

وقد فوجئنا ان الجميع يعرفون ما يريدون وما عليهم ان يفعلوه ولم يستعن احدهم بموظف للمفوضية العليا للانتخابات وكانوا يرفعون الاصبع المغمس بالحبر دليل المشاركة، علامة انتصار وفرح وتحد، وحتى الساعة الثانية عشرة ظهراً كانت محطات المركز قد انهت كل واحدة منها ما يقرب من ٥٠٠ بطاقة انتخابية او خمسة دفاتر في حين ان حصة المحطة الواحدة هي ستة دفاتر أي ٦٠٠ بطاقة انتخابية وهي نسبة عالية تساوي ٨٣٪ وقد اتم المركز جميع البطاقات المخصصة له قبيل موعد إغلاق المركز.

انه عيد

وكانت درجة الاقبال في المركز ٢٧٠٠٤ الذي اتخذ من مدرسة الامام الحسن الابتدائية موقعاً له بنفس المستوى كذلك المركز ١٢٧٠١٦ في مدرسة الكاظمي.

وتحدث المشاركون عن سعادتهم بالمشاركة فبعضهم وصف هذا اليوم انه عرس لكل العراقيين وآخرون قالوا انه عيد. وابلغ كلمة او وصف سمعناه كان من السيدة علية حسن من شارع المحيط / محلة ٤١٥ اذ قالت انه عيد نوروز ، وللوصف معناه الرمزي فنوروز او (اليوم الجديد) هو اليوم الذي سقط فيه الطاغية (الدهقان) تحت ضربات ابناء الشعب الساعين الى الحرية والكرامة.

وأبدى بعضهم المه لعدم مشاركة بعض القطاعات الشعبية العراقية والقوى السياسية التي وضعت ذريعة الاحتلال حاجزاً دون مشاركتها، دون ان تذكر ان العراقيين هم الذين انتزعوا حق الانتخاب من المحتل واملوا عليه الاستجابة لإرادتهم.

مدير المركز اخبرنا انه ليست هناك مقاطعة حقيقية وانما اعتزال بسبب التهديدات وهذا هو السبب الذي جعلنا نفتتح المركز في الكاظمية وليس في الطارمية.

مركز الشهداء ٤١ ويخص شارع حيفا والرحمانية بقي شبه فارغ ولم يقدم على المشاركة سوى عدد يسير من الاساتذة الجامعيين الذين يسكنون احدى العمارات فيه وبعض المتسللين خلسة.

اقبال غير متوقع في الدورة

حتى ايام قليلة قبل الموعد المحدد لإجراء الانتخابات، كان الارهابيون يهددون سكان احياء الدورة بالقتل وتفجير الدور في حال مشاركتهم في الانتخابات، وكنا جميعاً قلقين من امكانية تنفيذ هذه التهديدات وانعكاساتها على مستوى الاقبال على المشاركة في الاقتراع، لكن مستوى الاقبال عبر المتوقع أدهسنا جميعاً فقد شاركت اعداد كبيرة من المواطنين في حي الميكانيك وشارع ابو طيارة والاثوريين وحي الجمعية. المركز رقم (١١) على سبيل المثال تجاوزت فيه نسبة المقترعين حتى الساعة الثانية بعد الظهر نسبة ٨٠٪ واغلبهم من الاخوة الاثوريين الذين حمل بعضهم معهم اجهزة تسجيل تبث الاغاني الاثورية الراقصة البديعة، وقد استمر الاقبال متقطعاً حتى موعد اقفال الصناديق في الساعة الخامسة مساءً فقد كانت ذروة الاقبال ما بين الساعة ٩ و الساعة ١١ صباحاً، ولم يثن المقترعين اطلاق الرصاص الذي سمع قريباً من المركز ولا قذائف الهاون التي سقطت قريباً ولكن في الفراغات دون ان تلحق اذى بأحد او اضراراً.

وجرى الامر نفسه في حي الميكانيك وفي حي الجمعية الذي استقطب سكان المحلة ٨٢٤ الراغبين في المشاركة، وهذه المحلة تسكنها اغلبية قاطعت الانتخابات خوفاً من تهديدات المسلحين الذين راحوا يترصدون السكان من سطوح الدور ولهذا بدا مركز الاقتراع في مدرسة بلاط الشهداء المخصص للمحلة ٨٢٤ وحي المعلمين شبه فارغ ولم يشارك في الاقتراع فيه الا عدد قليل دخلوه خلسة، بينما شارك عدد من السكان في الاقتراع في حي الجمعية او في احياء اخرى، بينما توادرت الانباء ان بقية مراكز الاقتراع في عموم المدينة عاشت عرساً حقيقياً وتحدياً عاماً، دون اكتراث بالتهديدات واطلاقات الرصاص والهاونات التي عدوها محاولة بائسة لإفساد العرس العراقي دون جدوى فقد كانت جهود رجال الشرطة والحرس الوطني المدعومة بالقوات المتعددة الجنسيات في مستوى المسؤولية، وقد ساندها المواطنون الذين ساهموا في القاء القبض على بعض الإرهابيين كما حصل في منطقة (ابو دشير) في اطراف الدورة التي شارك سكانها بزخم كبير جداً.

شعب حضاري

وباختصار كان الاقبال الواسع في الكاظمية متوقعاً لكنه لم يكن متوقعاً بهذه الدرجة، اما في الدورة التي تنشط في بعض احيائها مجموعات مسلحة وارهابية فإن الاقبال فاق التصور، واثبت الاخوة المسيحيون انهم في مستوى التحدي، بينما كان الإرهابيون يراهنون على انسحابهم بما كانوا يبثونه من اشاعات وتهديد وترهيب. وعلى العموم لم يتفوق العراقيون على انفسهم في نجاحهم المذهل هذا وانما ارتقوا جميعاً الى حقيقتهم كشعب حضاري قادر على صياغة تاريخه دون خوف او تردد اذا ما اتيحت له الفرصة.

شفافية

والجميل اننا لم نسمع شكوى من احد بخصوص خروقات في مراكز الانتخاب في مدينتي الكاظمية والدورة، ولم يتدخل احد في خيارات الناخبين. وقد ابدى ممثلو الكيانات السياسية الحاضرون لمراقبة سير العملية الانتخابية رضاهم الكامل عن مجريات الامور.